

فضل الصحابة عمر الخدراوي

أمّا بعد: ايها الأخوة المسلمون موضوع حديثنا اليوم في هذه الجمعة المباركة عن فضل الصحابة رضوان الله عليهم ومكانتهم، وفضلهم في الإسلام. أيها الأخوة المسلمون لم يعد أمرا خفيا ما يتعرض له الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هجوم مكر منظم من قبل البعض من مرضى القلوب ومن أصحاب الأهواء والبدع. ولا يخفى على عاقل أن الجرأة على سب الصحابة و إساءة الظن بهم و الطعن فيهم وفي عدالتهم خطيرة لأنها فرية هدامة على أظهر جيل عرفته الأرض بعد رسل الله. فهذا الجيل (جيل الصحابة) من الواجب على كل مسلم أن يجله وأن يقدره فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم رواد البشرية في طريق الخير و الذين على أيديهم انتقل هذا الدين إلينا، وبواسطتهم أخرجنا الله من الظلمات إلى النور. يقول ابو جعفر الطحاوي في عقيدته " ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم . و نبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم . ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر و نفاق وطغيان "

عبادَ الله ، أجمع المسلمون على أنّ الصحابة رأسُ الأولياء و صفوة الأتقياء ، قدوة المؤمنين وأسوة المسلمين وخير عبادِ الله بعدَ الأنبياء والمرسلين ، جمعوا بين العلم بما جاء به رسول الله ﷺ وبين الجهادِ بين يديه، شرفهم الله بمشاهدة خاتم أنبيائه وصُحْبته في السراء والضراء وبذلهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله، حتّى صاروا خيرةَ الخيرة وأفضلَ القرون بشهادة المعصوم ﷺ. هم خيرُ الأمم سابقهم ولاحقهم، أولهم وآخرهم. هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام وشادوا قصورَ الدين، قطعوا حبالَ الشرك، أوصلوا دينَ الإسلام إلى أطراف المعمورة، فانتسعت رقعة الإسلام، وطبقت الأرض شرائعَ الإيمان، فهم أدقّ الناس فهماً وأغزرهم علماً وأصدقهم إيماناً وأحسنهم عملاً. كيف لا؟! وقد تربّوا على يدَي النبي ﷺ ونهلوا من ماء معينه الصّافي وشاهدوا التنزيل، روى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: (إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلبَ محمّد ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعدَ قلب محمّد ﷺ فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون على دينه)[1].

والصحابي مَنْ صحبَ النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

وقد وردت الآياتُ الصريحة والأحاديثُ الصحيحة في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، من ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْكُمْ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:100]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَعَانِيكَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:18، 19]، وفيهم يقول رسول الله ﷺ: ((لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة)) [2]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:8، 9]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:29]، روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا [3]. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما أدرك مدًّا أحدهم ولا نصيفه)) [4].

إنَّ الخيرَ كلَّ الخير في ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، هم من حفظ الله بهم كتابه أمينًا عن أمين، حتى أدوا أمانة ربهم. و يقول ابن حجر في الإصابة "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الا شواذ المبتدعة".

نال الصحابة رضي الله عنهم شرف لقاء النبي ﷺ، فكان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه، سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان — والله — أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وأبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

سأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك - زيد بن الدثينة رضي الله عنه حينما أخرجته أهل مكة من الحرم ليقتلوه وقد كان أسيراً عندهم: أنشدك بالله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك؟ قال: والله، ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً [6].

حكّم الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم فقالوا: هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت، هذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحر لخضناه نقاتل بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كان أحداً أحب إلي من رسول الله ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطق، لأنني لم أكن أملاً عيني منه [7].

نحن نحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ولا نذكرهم إلا بالخير، ونشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والثوبة والرحمة من الله، ويجب أن يستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلاً رأى النبي ﷺ وشاهده وأمن به واتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن [لم] يره ولم يشاهده، ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم أوليهم وآخرهم وذكر محاسنهم ونشر فضائلهم والافتداء بهديهم والافتداء لأثارهم، نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهدة معه، وسبقوا الناس بالفضل، غفر الله لهم، وأمر بالاستغفار لهم والتقرب إليهم وبمحببتهم، فرض ذلك على لسان نبيه ﷺ، فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم إلا مفتون القلب في دينه.

إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص فغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، ثم إن القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل ونزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

لا يُسأل عن عدالة أحد من الصحابة، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يُعَدُّ به [في] الإجماع

[من] الأُمَّة، ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: ((آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النِّفاق بغضُ الأنصار)) أخرجه البخاري [8]، وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد رفعه: ((لا يبغضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر)) أخرجه مسلم [9]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدَ الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليّ الصابرين، وأشهد أن سيِّدنا ونبيِّنا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله.

إخوة الإسلام، أفضلُ الصَّحابة الخلفاء الأربعة، ثمَّ بقية العشرة المبشرين بالجنة، قال ﷺ: ((خير هذه الأُمَّة بعد نبيِّها أبو بكر ثمَّ عمر)) [1]، وقال ﷺ: ((اقتدوا باللَّذين من بعدي: أبي بكر وعمر)) [2]، وفي صحيح مسلم أن أصحاب النبي ﷺ كانوا في سفر فقال ﷺ: ((إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا)) [3]، وفي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبت، مَنْ خير النَّاس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أوَمَّا تعلم يا بني؟! قلت: لا، قال: أبو بكر [4].

أنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آياتٍ من القرآن، قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [النور: 22]، لا خلاف أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه، فنعتته بالفضل رضوان الله عليه، وقال تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: 40]، لا خلاف أيضاً أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه، شهد له ربُّ العالمين بالصَّحبة، وبشره بالسكينة، وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من يكون أفضل ثاني اثنين الله ثالثهما؟!، وقال ﷺ: ((ما نفَعني مالٌ قطُّ ما نفَعني مال أبي بكر))، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟! [5].

وفي عمر رضي الله عنه يقول النبي ﷺ كما في صحيح البخاري: ((ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجع)) [6]، ويقول ﷺ: ((قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)) أخرجه مسلم [7]. ومعنى محدثون أي: ملهَمون. وعمر رضي الله عنهم ملهَم، قد جاء القرآن بموافقتة، فقد نصح رسول الله ﷺ أن يحجب نساءه، وقال: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقال له في شأن الأسرى، فأنزل الله القرآن بموافقة عمر الملهَم. وهكذا أيضا فتح الله الفتوحات على يد عمر. وعن جابر قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟! انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر [8].

أمّا عثمان بن عفان فقد جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه ليجهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فصبح في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقبها بيده ويقول: ((ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم)) يرددها مرارا [9].

وفي علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: ((لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله))، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجوه، فقال: ((أين علي؟)) فقيل: يشتكى عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: ((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم)) [10].

إخوة الإسلام، الصحابة كلهم من أهل الجنة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ [الحديد:10].

ألا وصلوا — عباد الله — على رسول الهدى، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56].

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين ...